# زوجـــة إمام

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جلس جماعةُ أصحاب الحديث في مسجد الكوفة ، يَنتظرون قُدومَ شيخهم الامام « أبي محمد سليمان الأعمش »[1] ليسمعوا منه الحديث ، فأبطأ عليهم ؛ فقال منهم قائل : هلمُّوا نتحدثْ عن الشيخ فنكونَ معه وليس معنا . فقال أبو معاوية الضرير : إلى أن يكونَ معنا ولسنا معه . ! فخطرت ابتسامةٌ ضعيفةٌ تهتزُّ على أفواه الجماعة لم تبلغ الضحك ، ومرّت لم تُسمَع وكأنها لم تُرَ ، وانطلقتْ من المباح المعْفُوّ عنه . ولكنْ أكْبرَها أبو عتّاب منصورُ بن المُعْتَمِر فقال : ويلك يا أبا معاوية ! أتَتَندَّرُ بالشيخ وهو منذُ الستين سنةً لم تَفُتْه التكبيرةُ الأولى في هذا المسجد ، وعلى أنه مُحدّث الكوفة وعالِمُها ، وأقرأ الناس لكتاب الله ، وأعلمُهم بالفرائض ، وما عرفَت الكوفةُ أعبدَ منه ولا أفقهَ في العبادة ؟

فقال محمد بن جُحَادة[2] : أنت يا أبا عتّاب ، رجلٌ وحدك ، تُواصِلُ الصومَ منذ أربعين سنة ، فقد يَبِسْتَ على الدهر وأصبح الدهر جائعاً منك ، وما بَرحتَ تبكي من خشية الله ، كأنما اطّلعتَ على سَواء الجحيم ، ورأيت الناسَ يَتَواقَعُون فيها وهي لهبٌ أحمرُ يلتفُّ على لهب أحمر ، تحت دخان أسودَ يَتضرّبُ في دخان أسود ، يَتَغامَسُ الانسانُ فيها وهي مِلءُ السموات ، فما يكون إلا كالذُّبابة أوقدوا لها جبلاً ممتداً من النار ، يَنْطادُ بين الأرض والسماء ، وقد ملأ ما بينهما جمراً وشُعلاً وحَماً ودخاناً ، حتى لتهاربُ السُّحُبُ في أعلى السماء من حرّه ، وهو على هوْله وجسامته لحرْقِ ذبابةٍ لا غيرِها ، بَيْدَ أنها ذبابةٌ تُحْرَقُ أبداً ولا تموتُ أبداً ، فلا تزالُ ولا يزال الجبل !

فصاح أبو معاوية الضرير : ويحك يا محمد ! دَعِ الرجل وشأنه ؛ إن لله عباداً متاعهم مما لا نعرف ، كأنهم يأكلون ويشربون في النوم ، فحياتُهم من وراء حياتنا ، وأبو عتّاب في دنيانا هذه ليس هو الرجلَ الذي اسمهُ « منصور » ولكنه العملُ الذي يعمله « منصور » . هل أتاكم نبأ قارئ المدينة « أبي جعفر الزاهد » ؟ قال الجماعة : ما خبره يا أبا معاوية ؟ قال : لقد تُوُفّيَ من قريب ، فرُئِيَ بعد موته على ظهر الكعبة ؛ وسترون أبا عتاب — إذا مات — على منارة هذا المسجد ! فصاح أبو عتاب : تَخَلَّلْ يا أبا معاوية ؛ أما حفظت خبر ابن مسعود : « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل ، فوقع فيه رجل من بعده ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تخلَّلْ » قال : ممَّ أتخلَّلُ ؟ ما أكلتُ لحماً ؟ قال : « إنك أكلتَ لحم أخيك ! »

فتقلْقل الضرير في مجلسه ، وتَنحنحَ ، وهمهم أصواتاً بينه وبين نفسه ، وأحسّ الجماعةُ شأنه وقد عرفوا أن له شراً مُبصرا كالذي كان فيه من المزْح والدُّعابة ، وشراً أعمى هذه بوادرُه ، فاستلب ابنُ جحادةَ الحديثَ مما بينهما وقال : يا أبا معاوية ، أنت شيخُنا وبركتُنا وحافظُنا ، وأقربُنا إلى الامام وأمسُّنا به ؛ فحدثنا حديثَ الشيخ كيف صنع في ردّه على هشام بن عبد الملك[1] ، وما كان بينك وبين الشيخ في ذلك ؛ فان هذا مما انفردتَ أنت به دون الناس جميعاً ، إذ لم يسمعه غير أذنيك ، فلم يحفظه غيرك وغير الملائكة

فأسفرَ وجهُ أبي معاوية وسُرّيَ عنه واهتزّ عطْفاه وأقبل عليهم بعفو القادر . . . . وأنشأ يحدّثهم قال :

إن هِشاماً — قاتله الله — بعث إلى الشيخ : أنِ اكتبْ لي مناقبَ عثمانَ ومساوِيءَ عليّ . فلما قرأ كتابهَ كانت داجِنَةٌ إلى جانبه ، فأخذ القرطاس وألقمَه الشاة فلاكتْه حتى ذهب في جوفها ، ثم قال لرسول الخليفة : قل له : هــــذا جوابك ! فخشي الرسول أن يرجع خائباً فيقتله هشام ، فما زال يتحمّلُ بنا ، فقلنا : يا أبا محمد ، نجّه من القتل . فلما ألححنا عليه كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ يا أمير المؤمنين ، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقبُ أهل الأرض ما نفعتْك ، ولو كانت لعليّ رضي الله عنه مساوِىءُ أهل الأرض ما ضرّتك ؛ فعليك بخُوَيْصّةِ نفسك ، والسلام . »

فلما فصل الرسول قال لي الشيخ : إنه كان في خُرَاسانَ

(١) ولد هذا الامام العظيم سنة ٦١ للهجرة ، وتوفى سنة ١٤٨

(٢) الجحادة هي الفرارة الممتلئة ، فكانت أمه تشبه بها

(١) بويع هشام سنة ١٠٥ للهجرة ، وتوفى سنة ١٢٥

مُحدِّث اسمه « الضحَّاكُ بن مُزاحم الهلالى » وكان فقيهَ مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبىّ يتعلمون ؛ فكان هذا الرجلُ إذا تعب ركب حماراً ودار به فى المكتب عليهم ، فيكون إقبالُ الحمار على الصبىّ همّاً وإدبارُه عنه سروراً . وما أرى الشيطان إلا قد تعب فى مكتبه وأعيا ، فركب أميرَ المؤمنين . . . . ليدور علينا نحن يسألنا : ماذا حفظنا من مساوىء علىّ ؟

قلت : فلماذا ألقمتَ كتابه الشاة ؟ ولو غسلته أو أحرقته كان أفهمَ له وكان هذا أشبهَ بك . فقال : ويحك يا أبله ! لقد شابت البلاهةُ فى عارضَيك . إن هشاما سيتقطَّع منها غيظاً ، فما يُخفى عنه رسوله أنى أطعمتُ كتابه الشاة ، وما يُخفى عنه دَهاؤُه أن الشاة ستَبْعَرُه من بَعْد . . . !

قلت : أفلا تخشى أمير المؤمنين ؟

قال : ويحك ! هـذا الأحولُ عندك أمير المؤمنين ؟ أيما ولدته أمُّه من عبد الملك ؟ فهَبها ولدته من حائكٍ أو حجّام ! إن إمارةَ المؤمنين يا أبا معاوية ، هى ارتفاعُ نفس من النفوس العظيمة إلى أثَر النبوّة ؛ كأنَّ القرآنَ عَرَضَ المؤمنين جميعاً ثم رضى منهم رجلاً للزمن الذى هو فيه ، ومتى أُصيبَ هذا الرجلُ القرآنىُّ فذاك وارثُ النبىّ فى أمته وخليفتُه عليها ، وهو يومئذ أمير المؤمنين ، لا من إمارة الملك والترف ، بل من إمارة الشرع والتدبير والعمل والسياسة

هذا الأحول الذى التفَّ كدودة الحرير فى الحرير ، وأقبل على الخيل لا للجهاد والحرب ، ولكن للهو والحَلْبة ، حتى اجتمع له من جياد الخيل أربعة آلاف فرس لم يجتمع مثلُها لأحد فى جاهلية ولا إسلام ، وعَمِلَ الخزّ وقُطُفَ الخزّ ، واستجاد الفرش والكُسوة ، وبالغَ فى ذلك وأنفقَ فيه النفقات الواسعة ، وأفسد الرجولة بالنعيم والترف حتى سلك الناسُ فى ذلك سُنَّتَه فأقبلوا بأنفسهم على لهو أنفسهم ، وصنعوا الخير صنعةً جديدة بصرفه إلى حظوظهم ، وتركوا الشر على ماهو فى الناس ، فزادوا الشر وأفسدوا الخير ، ولم يَعُد الفقراءُ والمساكينُ عندهم هم الفقراءَ والمساكين من الناس ، بل بطونَهم وشهواتُهم . . . !

ولقد كان الرجلُ من أغنياء المسلمين يقتصدُ فى حظ نفسه ليَسَعَ برّه مائةً أو مائتين أو أكثر من اخوانه وذوى حاجته ؛ فماذا هـذا الغنىُّ يتّسعُ لنفسه ثم يتسع ، حتى لا يكفيه أن يأكلَ رزقه مائة أو مائتين أو أكثر !

إن هذا الاسلامَ يجعل أحسنَ المسرّات أحسنَها فى بذلها للمحتاجين ، لا فى أخذها والاستئثار بها ، فهى لا تضيع على صاحبها إلا لتكون له عند الله ، وكأن الفقر والحاجةَ والمسكنةَ والانفاقَ فى سبيل الله ـ كأن هذه أرضون يُغرس فيها الذهبُ والفضة غرساً لا يُؤْتى ثمرَه إلا فى اليوم الذى ينقلب فيه أغنى الأغنياء على الأرض وإنه لأفقر الناس إلى درهم من رحمة الله وإلى ما دون الدرهم ؛ فيقال له حينئذ : خُذْ من ثمار عملك ، وخُذْ ملءَ يديك !

والسلطانُ فى الاسلام هو الشرع مَرْئياً يُتابعهُ الناس ، متكلما بفهمه الناس ، آمراً ناهياً يطيعه الناس . ولقد رأى المسلمون هذا الأحول ، وتابعوه وسمعوا له وأطاعوا ؛ فنموا ما فى أيديهم ، فانقطع الرِّفد ، وقلَّ الخير ، وشحَّت الأنفس ، وأصبح خيرهم خيرَهم لبطنه وشهواته ، وصار الزمانُ أشبهَ بناسه ، والناسُ أشبهَ بمَلِكهم ، وملكُهم فى شهواته « فقيرُ المؤمنين » لا أميرُ المؤمنين !

إن هـذه الامارةَ يا أبا معاوية ، إنما تكون فى قرب الشبه بين النبىّ ومن يختاره المؤمنون للبَيْعة . وللنبىّ جهتان : إحداهما إلى ربه ، وهـذه لا يطمع أحدٌ أن يبلغ مَبلغَه فيها ؛ والأخرى إلى الناس ، وهذه هى التى يُقاس عليها . وهى كلها رِفقٌ ورحمةٌ وعملٌ وتدبير وحياطة وقوة ، الى غيرها مما يقوم به أمرُ الناس ؛ وهى حقوقٌ وتَبِعاتٌ ثقيلة تنصرف بصاحبها عن حظ نفسه ، وبهذا الانصراف تجذب الناس الى صاحبها . فامارة المؤمنين هى بقاء مادّة النور النبوىّ فى المصباح الذى يضىء للاسلام بامداده بالقدْر بعد القدر من هـذه النفوس المضيئة . فان صَلُحَ الترابُ أو الماء مكان الزيت فى الاستضاءة صَلُح هشامٌ وأمثاله لامارة المؤمنين !

ويلٌ للمسلمين حين ينظرون فيجدون السلطانَ عليهم بينه وبين النبى مثلُ ما بين دِينين مختلفين . ويلٌ يومئذ للمسلمين ! ويلٌ يومئذ للمسلمين !

* * *

فلما أتمّ الضرير حديثه قال ابن جحادة : إن شيخنا على هذا الجدّ ليمزح ، وسأحدثكم غير حديث أبى معاوية فقد رأيتُ الدنيا كأنما عرفت الشيخ ووقفت على حقيقته السماويّة فقالت له : اضحكْ منىّ ومن أهلى . ولكنّ وقاره ودينه ارتفعا به أن يضحك بفمه ضحكَ الجهلاء والفارغين ، فضحك بالكلمة بعد الكلمة من نوادره

لقد كنت عنده فى مَرْضَته ، فعاده « أبو حنيفة » صاحبُ الرأى ، وهو جبلُ عِلْمٍ شامخ ، فطوّلَ القعودَ مما يُحبّه ويأنس به ، إذ كانت الأرواحُ لا تعرف مع أحبابها زمناً يطول أو يقصر . فلما أراد القيام قال له : ما كأنى إلا ثقُلْتُ عليك . فقال الشيخ : إنك لثقيلٌ علىّ وأنتَ فى بيتك . . . ! وضحك أبو حنيفة كأنه طفل يُبلاغيه أبوه بكلمةٍ ليس فيها معناها ، أو أبٌ داعَبه طفله بكلمة فيها غيرُ معناها

وجاءه فى الغداة قومٌ يعودونه ، فلما أطالوا الجلوسَ عنده أخذ الشيخ وسادته وقام منصرفاً ، وقال لهم : قد شفَى الله مريضكم . . . !

فقال الضرير : تلك رَوْحَةٌ من هواء دُنْبا وَنْد [1] فان أبا الشيخ كان من تلك الجبال ، وقدم إلى الكوفة وأمُّه حاملٌ ؛ فوُلِدَ هنا ؛ فكأنّ فى دمه ذلك النسيم تهبُّ منه النفحة بعد النفحة فى مثل هذه الكلمات المُتنسمة ؛ ثم هى روحه الظريفة الطيّبة تُلمَسُ بعضَ كلامه أحياناً ، كما تلمسُ روحُ الشاعر بعضَ كلام الشاعر ؛ وما رأيت أدقّ النوادر الساخرة وأبلغَها وأعجبَها يجئ إلا من ذوى الأرواح الشاعرة الكبيرة البعيدة الغَوْر ، كأنما تأتى النادرة من رؤية النفس حقيقتين فى الشئ الواحد . والامامُ فى ذلك لايسخر من أحد ، إلا إذا كانت الأرض حين تُخرج الثمرةَ الحلوة تسخَر بها من الثمرة المرة

والعجيب أن النادرة البارعة التى لاتتفق إلا لأقوى الأرواح ، يتفق مثلها لأضعفِ الأرواح ؛ كأنها تسخَر من الناس كما يسخرون بها . فهذا « أبو حسَن » معلّم الكُتّاب ، جاءه غلامان من صِبْيته قد تعلق أحدها بالآخر ؛ فقال : يامعلّم ، هذا عضّ أذنى . فقال الآخر : ما عضضتُها ، وإنما هو عضّ أذنَ نفسه . . . . ؛ فقال المعلم : وتمكُرُ بى أيضاً ياابن الخبيثة ، أهو جملٌ طويلُ العُنق حتى ينالَ أذنَ نفسه فيعضّها . . . !

* * *

وطلع الشيخ عليهم وكأنما قرأ نفسَ أبى معاوية فى وجهه التفتّح . ومن عجائب الحكمة أن الذى يُلمح فى عينى المبصر من خوالج نفسه يُلمحُ على وجه الضرير مُكبّراً مجسّماً . وكان الشيخ لا يأنس بأحدٍ أُنسه بأبى معاوية ، لذكائه وحفظه وضبطه ، ولمشاكلة الظَّرف الروحىّ بينهما ؛ فقال له :

« فِيمَ كان أبو معاوية ؟ »

ـ « كان أبو معاوية فى الذى كان فيه ! »

ـ « وما الذى كان فيه ؟ »

ـ « هو ما تسأل عنه ! »

ـ « فأجبْنى عما أسأل عنه . »

ـ « قد أجبتُك ! »

ـ « بماذا أجبتَ ؟ »

ـ « بما سمعت ! »

فتقبّض وجهُ الشيخ وقال : « أههنا وهناك معاً ؟ لو أن هذا من امرأةٍ غضبَى على زوجها لكان له معنى ، بل لا معنى له ولا من امرأةٍ غضبى على زوجها . أحسَبُ لولا أن فى منزل من هو أبغضُ إلىّ منكم ماخرجت ؟ » فقال الضرير : « يا أبا محمد ، كأننا زوجاتُ العلم ؛ فأيّتُنا التى حظيتْ وبَظيتْ . . . . »

فنطّى الجماعةُ أفواهَهم يضحكون ، وتبسّم الشيخ ، ثم شرع يحدّث فأفضى من خبر إلى خبر ، وتسرّح فى الرواية حتى مرّ به هذا الحديث :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هلاكَ الرجال طاعتُهم لنسائهم . »

قال الشيخ : كان الحديث بهذا اللفظ ، ولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم : « هلاكُ الرجل طاعتُه لامرأته » ؛ فإن هذا لايستقيم ؛ إذ يكون بعضُ النساء أحياناً أكمل من بعض الرجال ، وأوفر عقلاً وأسدّ رأياً ، وقد تكون المرأةُ هى الرجلَ فى الحقيقة عزماً وتدبيراً وقوّةَ نفس ، ويتليّنُ الرجل معها كأنه

(١) ناحية من رستاق الرى فى الجبال الثلجية وهى من بلاد العجم

امرأة . وكثير من النساء يكن نساء بالحلية والشكل دون ما وراءهما ، كأنما هيئن رجالاً في الأصل ثم خلقن نساء بعد ، لأحداث ما يريد الله أن يحدث بهن ، مما يكون في مثل هذه العجيبة عملاً ذا حقيقتين في الخير أو الشر

وإنما عم الحديث ليدل على أن الأصل في هذه الدنيا أن تستقيم أمور التدبير بالرجال ؛ فان البأس والعقل يكونان فيهم خلقة وطبيعة أكثر مما يكونان في النساء ؛ كما أن الرقة والرحمة في خلقة النساء وطبيعتهن أكثر مما هما في الرجال ، فاذا غلبت طاعة النساء في أمة من الأمم ، فتلك حياة معناها هلاك الرجال ، وليس المراد هلاك أنفسهم بل هلاك ماهم رجال به . والحديد حديد بقوته وصلابته ، والحجر حجر بشدته واجتماعه ؛ فان ذاب الأول أو تفلل ، وتناثر الآخر أو تفتت — فذاك هلاكهما في الحقيقة ، وهما بعد لا يزالان من الحجر والحديد

والمرأة ضعيفة بفطرتها وتركيبها ، وهي على ذلك تأبى أن تكون ضعيفة أو تقر بالضعف ، إلا إذا وجدت رجلها الكامل ، رجلها الذي يكون معها بقوته وعقله وفتنته لهاوحبها إياه ، كما يكون مثال مع مثال . ضع مائة دينار بجانب عشرة دنانير ، ثم اترك للعشرة أن تتكلم وتدعي وتستطيل ؛ قد تقول : إنها أكثر إشراقاً ، أو أظرف شكلاً ، أو أحسن وضعاً وتصفيفاً ؛ ولكن الكلمة المحرمة هنا أن تزعم أنها أكبر قيمة في السوق . . . !

قال الشيخ : ومن من النساء تصيب رجلها الكامل أو القريب من كماله عندها ، أي كمال طبيعته بالقياس إلى طبيعتها ، كمال جسم مفصل لجسم تفصيل الثوب الذي يلبسه ويختال فيه ؟ أما إن هذا من عمل الله وحده ؛ كما يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، يبسط مثل ذلك للنساء في رجالهن ويقدر

فاذا لم تصب المرأة رجلها القوي — وهو الأعم الأغلب — لم تستطع أن تكون معه في حقيقة ضعفها الجميل ، وعملت على أن يكون الرجل هو الضعيف ، لتكون معه في تزوير القوة عليه وعلى حياته . وبهذا تخرج من حيزها ، وما أول خروج النساء إلى الطرقات إلا هـذا المعنى ؛ فان كثر خروجهن في الطريق وتسكعهن ههنا وههنا فانما تلك صورة من فساد الطبيعة فيهن ومن إملائها أيضاً . . . . .

قال الشيخ : وكان في الحديث الشريف إيماء الى أن من بعض الحق على النساء ينزلن عن بعض الحق الذي لهن إبقاء على نظام الأمة ، وتيسيراً للحياة في مجراها ؛ كما ينزل الرجل عن حقه في حياته كلها إذا حارب في سبيل أمته ، إبقاء عليها وتيسيراً لحياتها في مجراها . فصبر المرأة على مثل هذه الحالة هو نفسه جهادها وحربها في سبيل الأمة ، ولها عليه من ثواب الله مثل ما للرجل يقتل أو يجرح في جهاده

ألا وإن حياة بعض النساء مع بعض الرجال تكون أحياناً مثل القتل ، أو مثل الجرح ، وقد تكون مثل الموت صبراً على العذاب ! ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمزوجة يسألها عن حالها وطاعتها وصبرها مع رجلها : «فأين أنت منه ؟» قالت ما آلوه إلا ما عجزت عنه ! قال : « فكيف أنت له ؟ فانه جنتك ونارك »

آه ! آه ! حتى زواج المرأة بالرجل هو في معناه مرور المرأة المسكينة في دنيا أخرى الى موت آخر ، ستحاسب عنده بالجنة والنار ، فحسابها عند الله نوعان : ماذا صنعت بدنياك ونعيمها وبؤسها عليك ؛ ثم ماذا صنعت بزوجك ونعيمه وبؤسه فيك ؟

وقد روينا أن امرأة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إني وافدة النساء اليك ؛ ثم ذكرت ما للرجال في الجهاد من الأجر والغنيمة ؛ ثم قالت : فما لنا من ذلك ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة للزوج ، واعترافاً بحقه — يعدل ذلك ؛ وقليل منكن من يفعله ! »

قال الشيخ : تأملوا واعجبوا من حكمة النبوة ودقتها وبلاغتها ؛ أيقال في المرأة المحبة لزوجها المفتتنة به المعجبة بكماله : إنها أطاعته أو اعترفت بحقه ، أو ليس ذلك طبيعة الحب إذا كان حباً ؟ فلم يبق إذن إلا المعنى الآخر ، حين لا تصيب المرأة رجلها المفصل لها ، بل رجلاً يسمى زوجاً ، وهنا يظهر كرم المرأة الكريمة ، وهاهنا جهاد المرأة وصبرها ، وهاهنا بذلها لا أخذها ؛ ومن كل ذلك هاهنا عملها لجنتها أو نارها

فاذا لم يكن الرجل كاملاً بما فيه للمرأة ، فلتبلغه هي رجلاً بنزولها عن بعض حقها له ، وتركها الحياة تجري في مجراها ، وإيثارها الآخرة على الدنيا ، وقيامها بفريضة كمالها ورحمتها ،

فيبقى الرجل رجلاً فى عمله للدنيا ، ولا يُمسَخُ طبعه ولا ينتكس بها ولا يَذل ، فان هى بذأت وتسلطت وغلبت وصرَّفت الرجل فى يدها ، فأكثر مايظهر حينئذٍ فى أعمال الرجال من طاعتهم لنسائهم – إنما هو طيشُ ذلك العقل الصغير وجُرْأته ، وأحياناً وقاحتُه ؛ وفى كل ذلك هلاك الرجولة ، وفى هلاك معانى الرجولة هلاكُ الأمة !

قال الشيخ : والقلوبُ فى الرجال ليست حقيقيةً أبدا ، بطبيعة أعمالهم فى الحياة وأمكنتهم منها ، ولكن القلب الحقيقى هو فى المرأة ، ولذا ينبغى أن يكون فيه السُموُّ فوق كل شيء إلا واجب الرحمة ، ذلك الواجب الذى يتَّجه الى القوىّ فيكون حبّاً ، ويتجه الى الضعيف فيكون حناناً ورقّة ، ذلك الواجبُ هو اللطف ، ذلك اللطفُ هو الذى يُثبت أنها امرأة

***

قال أبو معاوية : وانفض المجلس ، ومنعنى الشيخ أن أقوم مع الناس ، وصرف قائدى ، فلما خلا وجهه قال : يا أبا معاوية ، قُم معى الى الدار ، قلتُ ما شأنٌ فى الدار يا أبا محمد ؟ قال : إن (تلك) غاضبة على ، وقد ضاقت الحال بينى وبينها ، وأخشى أن تتباعد ، فأريدُ أن تصلح بيننا صلحا

قلت : فيمَ غضبها ؟ قال : لاتسأل المرأة بِمَ تغضب ، فكثيراً ما يكون هذا الغضب حركةً فى طباعها ، كما تكون جالسة وتريد أن تقوم فتقوم ، وتريد أن تمشى فتمشى !

قلت : يا أبا محمد ، هذا آخر أربع مرات[1] تغضب عليك غضب الطلاق ، فما يحبسُك عليها والنساء غيرها كثير

قال : ويحك يا رجل ! أبائعُ نساءٍ أنا ، أما علمتَ أن الذى يطلق امرأة لغير ضرورةٍ ملْجئةٍ ، هو كالذى يبيعها لمن لايدرى كيف يكون معها وكيف تكون معه ، إن عُمْرَ الزوجة لو كان رقبةً وضربت بسيف قاطع لكان هذا السيف هو الطلاق !

وهل تعيشُ المطلّقةُ إلا فى أيام ميتّة ، وهل قاتل أيامها إلا مطلقُها ؟

قال أبو معاوية : وقمنا الى الدار ، واستأذنت ودخلت على (تلك) . . . . ؟

(لها بقية) طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) هذا هو التعبير الصحيح لمثل قول الناس « هذه رابع مرة »

# حكايتى مع بوبى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

وقعت عيني عليها ، فلم أعد أرى سواها . وكنتُ أركب « الأمنيبوس » ففتحتُ الباب وإذا بها أمامى ! وفى حجرها كلب أبيض صغير غزير الشعر ، وإلى جانبها صاحب لى – جالس كالدمية ! فغضضتُ الطرف – أعنى أنى حوّلتُ عينى عنها إلى التمثال ، وكانت نظرتى واشية بالاعجاب والسرور ، فانقلبت نظرةَ حسدٍ وغيظ – ومقتٍ أيضاً ! ولكنى كتمتُ ذلك ، وأمسكت على ما بنفسى منه ، ولم أسمح له أن يطل من عينىّ ، لظنى أنها قد تكون زوجه أو أخته أو قريبته . وحيّيته ، ولكنه كان تمثالاً مبنياً أو منحوتاً من الحجر ، لا إنساناً حياً من لحم ودم ، فمضيت عنه إلى آخر مقعد ، وقد زاد حقدى عليه وحسدى له . وجعلت أقول لنفسى – وأنا قاعد ، وبينى وبينهما صفّان – إنها لا يمكن أن تكون زوجاً أو قريبة ، فما خلق مثلها ليشقى بزواج مثله أو يُبتلى بقرابته ، وأنه لاحق له فى زحامها على مقعدها ، وأن من سوء الأدب ألاّ يفسح لها

ورثيتُ لها ، وأشفقتُ عليها من برد هذا التمثال الجامد الذى لا ينبض فيه عِرقٌ ولا يطرف له جفن ، وهممتُ مرات أن أدعوه إلىّ ، ولكنى رددت نفسى عن ذلك ، مخافة أن تكون معه ، فان النساء – ككل شىء – حظوظ وأرزاق ، وقد سمعتُ وحفظتُ من أمثال عامتنا أن الله يشاء أحياناً أن يعطى الحلق لمن ليس له أُذنٌ !

وبلغتُ « محطتى » فنزلتُ ، ومنحتُ السيارة ظهرى ، فقد شقّ علىّ أن أراها تمضى بهذه الفتاة . فلما آذننى صوتها – أعنى صوت السيارة – أنها بعدت عنى ، درت ، فاذا بالفتاة إلى جانبي وأطراف أصابعها على فمها ، وفى وجهها كل آيات الحيرة والاضطراب ، ولم أر الكلب ، فتلفتُ فبصرت به يعدو ويسابق ظله الصغير ، ولم أبصر صاحبى فى مكان قريب أو بعيد ، فلم يبق محل للتردد ، فخلعتُ معطفى ورميته بلا تفكير ، وذهبت أعدو وراء الكلب ، فأدركته بلا عناء ، فقد كان صغيراً وخطوه